

(15-32)

## الدولة الفلسطينية في السياسة الخارجية الامريكية

### من جنيف.. الى كامب ديفيد

اثبت شاميرانه خير من يلتقط البضاعة الامريكية الصالحة للاستخدام الصهيوني، وخير من يصدرها لامريكا ليستوردها من جديد، تماما كما كان فعل في مشروع الانتخابات الذي التقطه من تقرير "البناء من اجل السلام"، الذي اشرف على وضعه ابلبرجر وساهم معه كل من مارتن انديك ودينس روس وريتشارد هس وجراهام فولر وغيرهم من اركان الادارة الحالية.

ولتلاميذ كيسنجر في الادارة الامريكية القدرة الفائقة على توجيه السياسة الخارجية الامريكية وتسويق بضاعتهم لدى الرئيس بوش والوزير بيكر بعد ان تختم بخاتم الكيان الصهيوني. لقد كان التصدي لمشروع السلام الفلسطيني، الذي قوبل بالتأييد من العالم باسره، يقتضي مشروعا صهيونيا مضادا تمثل في مشروع شامير للانتخابات، الذي انتهى به المطاف ليصبح خطة بيكر التي يرفضها شامير. واليوم، وبعد تعليق الحوار الامريكي الفلسطيني.. وبعد تشكيل وزارة التوسع والا ستيعاب الصهيونية، وردا على الموقف العربي الموحد في قمة بغداد لمواجهة جريمة العصر، المتمثلة بتهجير يهود الاتحاد السوفيتي واوروبا الشرقية الى الكيان الصهيوني، يأتي رد شامير على رسالة بوش التي تحثه بالاستمرار في مسيرة السلام منطلقا من الخطة الجديدة التي اعدتها تلاميذ كيسنجر ليصدرها شامير الى بوش وبيكر. والخطة في جوهرها انتقال من رد الفعل على مشروع السلام الفلسطيني بفعل جديد في اتجاه الخيار العربي، مع التأكيد كما يقول دينس روس على ان السلام "ينطلق من تطبيق اتفاقيات كامب ديفيد مع الاطراف العربية كأساس، وكذلك مع فلسطينيين شريطة ان لا يكونوا موصومين بالارهاب، ولا علاقة لهم بمنظمة التحرير الفلسطينية، وليسوا من سكان القدس او المبعدين".

وكخطوة اولى، تتجه الخطة نحو العودة الى مؤتمر جنيف، حيث يحقق الصهاينة بذلك ارضاء السوفييت لتشجيع الهجرة من جهة. والى ابعاد الاوروبيين وموقفهم المتطور لصالح القضية الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية من جهة ثانية. الى جانب حرمان منظمة التحرير الفلسطينية من المشاركة انطلاقا من الاتفاق الامريكي- الاسرائيلي السري عام 1975 والذي ينص على ما يلي:

(تؤيد الولايات المتحدة اسرائيل، وتعطيها حق نقض اشتراك اي دولة او مجموعة او منظمة اضافية في مؤتمر جنيف، والتي لم تكن مدعوة اصلا للاشتراك في افتتاح المؤتمر في كانون الاول/ ديسمبر 1973).

وامعانا في الدلال على امريكا.. تشترط حكومة شامير ان تحصل على تعهد خطي من بوش وبيكر بعدم مطالبة الكيان الصهيوني بالتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية مقابل مشاركتها في مؤتمر جنيف الجديد ولتحقيق هذا التعهد جاء لقاء الوزير ليفي مع الوزير بيكرالذي ادلى بتصريحه بعد

اللقاء مؤكداً على (السعي لإقامة مفاوضات بين الفلسطينيين و "إسرائيل"، التشديد من بيكر بتأكيديه الذي نشرته الصحف الأمريكية بين قوسين قوله (فلسطينيين وليس منظمة التحرير) مما يشكل مقدمة للتعهد الذي يحمل الدواء الشافي لقلب الوزير الصهيوني ليفي.

لقد ساهم موقف الرئيس بوش، بتعليق الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية، على تعزيز خط تلاميذ كيسنجر في البيت الأبيض، وهو بذلك يعيد الى الأذهان قرار كيسنجر الأميركي الصهيوني عام 1970، الهادف الى تصفية الثورة الفلسطينية باعتبارها عبئاً على الانظمة العربية حيث جاء نصه حينئذ على الشكل التالي (كل نظام عربي تتواجد فيه الثورة الفلسطينية المسلحة عليه ان يقوم بتصفيته، وكل نظام يرفض او يعجز عن القيام بهذه المهمة، سنقوم نحن بتصفيته). ويستمتع زوار الوزير بيكر هذه الايام اليه وهو يردد مقولة جديدة منسجمة، تماما مع خط شامير الجديدة، مفادها ان (الاطراف العربية هي التي نعمل معها السلام، لانها هي التي يمكن ان تضغط على الفلسطينيين).

انها تعبيرات حضارية اقل فجاجة من تعبيرات كيسنجر، ولكنها تحمل في طياتها نفس المفهوم الكيسنجري القديم الذي يهدف الى تصفية الثورة الفلسطينية، والانتفاضة الفلسطينية، ومنظمة التحرير الفلسطينية. وهناك ما يميزها ايضا عن الماضي كونها، في عهد بيكر وتلاميذ كيسنجر، تتوجه لمنظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها احد الانظمة العربية طالبين منها ليس فقط نبذ الارهاب، وهو ما يعني نبذ الكفاح المسلح، وانما مطلوب منها ان تقوم بتصفية كل طرف فلسطيني يمارس الكفاح المسلح.. هكذا!! انهم يدفعون المنظمة الى الانتحار الذاتي، تحت شعار السلام الدائم والعدل والشامل.

ولقد جرت في حينه لقاءات سرية، على اعلى المستويات الصهيونية، مع مسؤولين من الاردن ومن سوريا بهدف التوجه الى جنيف بعيدا عن اي مشاركة لمنظمة التحرير الفلسطينية. لقد عبر ابراهيم نافع في افتتاحية "الاهرام" عن ضرورة العودة الى الاتفاق الاردني- الفلسطيني كطريق وحيد لمشاركة المنظمة.

## امريكا وسياسة السلاح قبل السلام

وحيث انه ليس من السهل دعوة مصر وسوريا والاردن الى مؤتمر دولي للسلام في جنيف مع تجاوز فاضح لمنظمة التحرير الفلسطينية، خاصة وان مشروع السلام الفلسطيني الذي على اساسه بدأ الحوار الفلسطيني- الامريكى تم اقراره من قبل مؤتمر القمة العربي، والجامعة العربية، فقد تمخض الفعل الامبريالي الامريكى عن رد فعل جديد يتمثل في محاولة للقفز عن منظمة التحرير وذلك باستبدال المؤتمر الدولي للسلام بالمؤتمر الدولي للسلاح.

لم تكن الضجة التي اثارته امريكا وبريطانيا حول الاسلحة المتطورة في العراق ومحاولة العراق، امتلاك ناصية التكنولوجيا النووية، سوى مقدمة لما كانت كواليس البنتاغون والخارجية الامريكية تمهد له. ومن هنا جاءت دعوة الرئيس مبارك لنزع اسلحة الدمار الشامل من منطقة الشرق الاوسط في نيسان/ ابريل الماضي واستجابة العراق لها شريطة ضم مسألة السلاح النووي للسلاح الكيماوي. لقد اصبح الخوف الامريكى من اندلاع حرب غير مسيطر عليها في المنطقة واضحا.

فالصواريخ، والاسلحة الكيماوية المتوفرة في البلدان العربية خاصة العراق وسوريا لا يمكن تجاهل

تأثيرها المرعب على الكيان الصهيوني. وإذا كان العدو الصهيوني يتفوق بشكل واضح، في امتلاكه لاسحة دمار شامل تفوق تلك التي تملكها الدول العربية، إلا أنها من الناحية النفسية والديمغرافية لا يستطيع تحمل اصابات مثل تلك التي تستطيعها البلاد العربية. كما ان امريكا او الكيان الصهيوني بحاجة الى اطول مدة من الاستقرار وابتعاد شبح الحرب، لتمكين الكيان الصهيوني من استيعاب اكبر عدد ممكن من اليهود المهجرين من الاتحاد السوفيتي ودول اوروبا الشرقية.

لقد كان موقف العراق، الحازم والحاسم، حول استعداده للرد بقسوة على اي عدوان صهيوني على العراق او على اي دولة عربية، يمثل الاعلان عن تحقيق حالة التوازن الاستراتيجي التي تقوم على اساس التدمير المؤكد المتبادل. وما محاولة الكيان الصهيوني، مدعوما بكل طاقات الولايات المتحدة، لتطوير صاروخ السهم المضاد للصواريخ القصيرة، إلا محاولة لتحقيق التفوق الاستراتيجي الذي يجعل الكيان الصهيوني في موقع الرادع الذي يرتدي درع الحماية الذاتية.

وحيث ان الوصول الى تحقيق هذه الحالة يحتاج الى سنوات، فإن المحاولة الامريكية لضمان امن وسلامة وتفوق الكيان الصهيوني تنطلق من تخليصه: اولاً، من الخطر الاستراتيجي المتمثل في منظمة التحرير الفلسطينية، وانتفاضتها المباركة. وثانياً، نزع صاعقة الرعب المتمثل في القدرة العسكرية العراقية.. علماً بان كل ترسانة الولايات المتحدة التقليدية والنووية هي دائماً في خدمة الكيان الصهيوني. وعليه فان وزير خارجية الكيان الصهيوني ديفيد ليفي سيجد امامه مشروعين للمؤتمر الدولي: اولهما، مشروع المؤتمر الدولي للسلام. وثانيهما، المؤتمر الدولي للسلاح.

والمشروع الثاني يتعلق بعقد مؤتمر اقليمي يبحث في قضية الاشراف على الاسلحة غير التقليدية والصواريخ ومراقبتها. ويعتقد المحلل الاستراتيجي العسكري الصهيوني، زئيف شيف (ان ما يميز هذا الاقتراح هو: ان مؤتمراً كهذا يحضر له قبل تحقيق السلام بين اسرائيل والدول العربية، اذن سيكون لزاماً على اسرائيل ان تواجه قريباً المسألة الجديدة تماماً والتي تشتمل على مخاطر ليست بالقليلة، ولكن تشتمل على فرص طيبة ايضاً).

ان اهم الفرص الطيبة، التي يراها الصهاينة في هذا الاقتراح، هو استخدامه بوابة عبور الى مؤتمر دولي للسلام على انقاض منظمة التحرير الفلسطينية. وان مصر ستلعب دوراً هاماً في جلب ممثلي سوريا والعراق، وان الاردن سيساعد مصر على اقناع صدام حسين بالمشاركة، رغم عدم الحاجة لضم مسألة السلاح الكيماوي للسلاح النووي بصورة اوتوماتيكية. ولذلك يقترح المصريون لجننتين منفصلتين: واحدة للاشراف على الاسلحة الكيماوية ومراقبتها، والثانية للاسلحة النووية. وهذا بناء على ما كشفت عنه مصادر امريكية اشار اليها زئيف شيف في مقاله في هارتس يوم 27/2/1990. وقد اشارت تلك المصادر انه الى جانب بحث هذا الموضوع مع اسامة الباز فقد تم بحثه مع مساعد وزير الخارجية السوفييتي لشؤون الشرق الاوسط السيد غينادي تراسوف خلال زيارته الاخيرة لامريكا.

وتكمن المخاطر التي يحسب الصهاينة حسابها في كون (احد العناصر الاساسية التي يقوم عليها الاقتراح المصري يتمثل في الغاء.. افضلية اسرائيل، أي اضعاف قوة الرع الاسرائيلي). ولكن هذه المخاطر يمكن تجاوزها -عملياً- بالاعتماد على الحليف الاستراتيجي المتمثل في الولايات المتحدة الامريكية ولكن الاغراء الحقيقي المطروح امام الصهاينة هو ان المؤتمر الدولي للسلاح (هو مؤتمر اقليمي يشارك فيه ممثلو الدول فقط، وبكلمات اخرى ليست اكدية تهدف ادخال م.ت.ف من الباب الخلفي).

ويعتقد الامريكان ان الخوف الاقليمي للدول العربية، كل على حده، سيلزمها واحدة تلو أخرى باجراء مباحثات خاصة ومباشرة مع الكيان الصهيوني. بهذا ينتشر كامب ديفيد في المنطقة انتشار النار في الهشيم، ماسحا بذلك اثار منظمة التحرير الفلسطينية وما جسده من ارادة وهوية نضالية للشعب الفلسطيني. ويبدو ان سياسة الرقص على الحبال، التي استهواها الامريكان، واعطت نتائجها في كامب ديفيد على يد السادات، تحاول ان تفرض وجودها من جديد. ولكن العيب الكبير في ساسة البيت الابيض عدم اهتمامهم بقراءة التاريخ واعتمادهم على برامج كمبيوترية لا تحمل وحدة علاجها المركزية اسم فلسطين الشعب او فلسطين الارض، ولذلك فانها لا تتعامل مع الواقع وانما مع الاماني. وعليه، فان واقع الشعب الفلسطيني، وما جسده الانتفاضة العظيمة المتصاعدة داخل الارض المحتلة يشكل عقبة حقيقية امام كل محاولات الرقص على الحبال المتأرجحة بين المؤتمر الدولي للسلام والمؤتمر الدولي للسلاح. فمنظمة التحرير الفلسطينية، ودولة فلسطين، اصبحت حقيقة متجسدة في الضمير الفلسطيني والعربي والاسلامي والانساني، لن تستطيع كل محاولات اللف والدوران ان تتجاوز هذه الحقيقة.

كان العد العكسي يقترب من الصفر. وبعد لحظات من انطلاق مركبة الفضاء الامريكية تشالنجر، تفجرت وتبعثرت وزهبت التكنولوجيا ادراج الرياح. الذي يذكرنا بهذا الحدث هو ذلك العد العكسي الذي بدأه عملاء امريكا في المنطقة، وهم ينتظرون من رامبو الامريكي ان يوجه الضربة القاضية للعراق. ولم يتورع بعض الحكام ان يطالبوا امريكا بالاسراع في توجيه الضربة خشية، ان يؤثر تأخيرها على موقف جماهير الشعب العربي في بلادهم. وفي الوقت نفسه كان الرئيس المصري حسني مبارك يوجه نداءه الاخير، كناصح امين لصدام حسين، بتطبيق قرارات الامم المتحدة والا...

وفي غمرة العد العكسي، ارتفعت بورصة المراهنات، خاصة عند اولئك الذين هللو وكبروا لحرب ودقوا طبولها، وكانوا يفضلونها ساخنة. فالحديث عن الطائرة الخفية، وضربات الليزر الماحقة الساحقة، والعمى الراداري الذي سيصيب الاجهزة الالكترونية العراقية وغير ذلك من الامكانات الامريكية، كانت كلها مبررات لكسب الانتصار باقل التكاليف والاسعار من ملايين الدولارات النفطية. وقد افرجت الادارة الامريكية عن مبالغ هائلة من اموال الكويت المجمدة لتغطية نفقات شراء الذمم على كافة المستويات الملكية والرئاسية والوزارية. واخيرا بقي بالفتات على موائد المرتزقة من الصحفيين، الذين كانت مهمتهم الاساسية توجيه الشتائم للشعب الفلسطيني باعتباره السبب الاساسي لكل الكوارث التي تصيب المنطقة، لانه مصمم على التمسك بفلسطينيته ومصمم على النضال من اجل تحرر بلده، ومصمم على ان يقول الحق ولا شيء غير الحق، وان يرفض الركوع والاستسلام للصهاينة والامبرياليين مهما كلفه ذلك من تضحيات.

ومع سقوط نظرية الضربة السريعة القاضية، بدأ القابضون من أموال الخليج يتحسسون رقابهم امام اشواك التاريخ التي بدأت تشكهم. وبدأت تظهر صورة الربط المباشر بين القضية الفلسطينية المزمنة وقضية النفط الراهنة. واعلن الرئيس بوش شخصيا ان كل هذه الحملة ليست من اجل الكويت، وانما من اجل النفط، وانه لن يسمح لرجل مثل صدام حسين ان يتحكم بـ 20% من نفط العالم لان هذا سيجعل نمط الحياة الغربية اسيرة في ايدي حاكم عربي مستقل.

ووجد انصار الحرب الخاطفة انفسهم امام مشكلات لم تكن تخطر على بالهم، فامريكا تعاني من نقاط ضعف لا يمكن تلافيها. فالحرب، ان وقعت، تعني اصابة مباشرة لمنطقة النفط في الخليج العربي..

وهذا يعني ذبح الاوزة التي تبيض لامريكا ذهباً. حيث ان كل الحملة المسعورة تتم من اجل الحفاظ على مصالح امريكا النفطية، فليس من السهل التضحية بكل هذه المصالح من اجل لحظة كبرياء وغطرسة يمكن تلافيها بماء وجه يستورد باي شكل من الاشكال. خاصة وان نقطة الضعف الثانية تكمن ان العراق يمتلك اسلحة فتاكة. ومهما كانت شدة الضربة الاولى الموجهة له فانها لن تكون قاضية، ولن تمنعه عن الرد الذي يصيب تجمع القوات الامريكية بافدح الخسائر. فالتدمير المؤكد المتبادل اصبح يحكم حالة توازن رعب بين العراق من جهة والقوات الامريكية في المنطقة من جهة اخرى.

اما نقطة الضعف الثالثة فهي في ان التدمير المؤكد المتبادل يمتد ليغطي ما يعتبره العراقيون الولاية الامريكي الـ 25 وهو الكيان الصهيوني. فالأهداف الاستراتيجية الصهيونية وامكانية حرق نصف الكيان الصهيوني باسلحة الكيماوي المزدوج، كما صرح بذلك الرئيس صدام حسين، يجعل الكيان الصهيوني في وضع الرهينة امام العراق.

وتقابل نقاط الضعف الامريكية الثلاث هذه، ثلاث نقاط قوة اعلامية ودعائية للرئيس صدام حسين على حد قول ارون ديفيد ميلر، نائب مسؤول التخطيط في وزارة الخارجية الامريكية. وهذه النقاط هي: القدرة على اثاره الجماهير العربية والاسلامية ضد التواجد المسلح الغريب على ارض الجزيرة العربية وما يوصف بانه حرب صليبية جديدة، هذا اولاً. ومن ناحية ثانية، فان صورة امراء النفط وبذخهم وما يمتلكون من ودائع وارصدة تعطي صورة حادة لاستثارة الفقراء، وهي النغمة التي تكررت في رسائل الرئيس صدام حسين. وازافة لهاتين النقطتين فان النقطة الثالثة الهامة، هي تجاهل امريكا والغرب للقرارات التي صدرت عن الامم المتحدة ومجلس الأمن والمتعلقة بقضية فلسطين. وهو ما يجعل الحماس الشديد في تطبيق القرارات الجديدة المتعلقة بأزمة الخليج موضع شك بانه جزء من تحقيق العدالة لصالح شعب الكويت في حين ان العدالة المتعلقة بالشعب الفلسطيني موضوعه على الرف.

ومن هنا فان صدام حسين بتصديه "الاسرائيل" ودعوته لتطبيق قرارات الامم المتحدة المتعلقة بالقضية الفلسطينية، يضع نفسه في وضع البطل القومي امام الجماهير العربية التي ترى فيه صورة المحرر للقدس وفلسطين.

ولا شك ان الموقف الامريكي، على الرغم من لهجة الغطرسة التي يحملها وقدرته على الضغط لجلب المواليين والتابعين له، الا انه في حقيقته يفتقر الى الصلابة الجوهرية. فالكثير من الدول الاوروبية بدأت تشير الى اهمية الربط بين قضية الخليج والقضية الفلسطينية، وهو ما ينسجم بشكل او بآخر مع مبادرة الرئيس صدام حسين كما ان الموقف السوفييتي، الذي عبر عنه الرئيس غورباتشوف في قمة هلسنكي، يسير في نفس الاتجاه. ويجدر القول ان صراعاً لا بد ان يأخذ مداه من اجل استقطاب الموقف الاوروبي بشكل حاسم، فالدول الاوروبية ترى ن اجزاء من المعركة التي تخوضها امريكا في الخليج فالمعركة التي تخوضها امريكا في الخليج موجه ضد اوربا واليابان على المدى البعيد. فالهيمنة المطلقة لامريكا على مصادر النفط يجعل الدول الاوروبية واليابان تحت رحمة الولايات المتحدة، ومن مصلحة هذه الدول التعامل مع اصحاب النفط الحقيقيين عبر تحقيق المصالح المشتركة بين الطرفين. ومن هنا فان مهمة اساسية لا بد ان نوليها اهتماماً وهي تنبيه اوربا الى حقيقة الموقف الاستراتيجي الذي يجب ان تتبناه، وبذلك لا تندفع في عجلة التبعية لامريكا الى المدى الاخير. اما الاتحاد السوفييتي فانه قد بدأ يدرك خطورة الغزوة الامريكية التي تريد ان تكرسه كدولة من الدرجة الثانية. وعلينا، ومن مصلحتنا، ان لا نسمح لامريكا بالتربع على عرش العالم. ان التحرك الفلسطيني، المدعوم من الدول العربية والذي اصبح يحظى باحترام وتأييد اوسع من قبل دول العالم والرأي العام العالمي، يعتمد بشكل اساسي على حل



المشاكل العربية في اطار البيت العربي، وتحقيق السلام الشامل والدائم للمنطق في اطار المؤتمر الدولي لكي تتحقق اهدافنا ومصالحنا بعيدا عن هيمنة التدخل الاجني

## استراتيجية الربط بين فلسطين والنفط

ان حقيقة الدور الكبير الذي كان يلعبه النفط في مخطط الغزو الامبريالي للجزيرة العربية ليس طارئاً ولكنه كانجزءاً من مخطط استراتيجي قديم . ومن هنا كانت الجغرافيا الاقتصادية تلعب دوراً هاماً في تعقيد ظروف القضية الفلسطينية التي تفجرت بين ابار النفط فائتاء زيارة وفد الثورة الفلسطينية، في اواخر الستينات، الى فيتنام برئاسة الاخ ابو عمار، دار الحديث عن اهمية الثورة الفيتنامية وانتصراتها العظيمة ضد القوى الامبريالية، خاصة في معركة ديان بيان فو التي قادها الجنرال جياب. وعندما بدأ الجنرال جياب يتحدث عن الثورة الفلسطينية، قال للاخ ابو عمار والوفد المرافق له: "ايها الرفاق.. ان ثورتكم هي اعظم ثورات هذا العصر. انها ثورة المستحيل.. انها ثورة في قلب حقول النفط.. ولكنكم ستنتصرون".

هكذا وبعين المناضل الثائر الثاقبة، ربط الجنرال جياب بين فلسطين والنفط، بين الهدف وكل الاسلحة اللازمة لتحقيقه. ولم تمض سنوات قليلة على هذه الزيارة حتى شهد العالم سيف النفط العربي المشرع يخرج من غمده ويصيح في وجه الامبرياليين الامريكان، الذين هالهم ما اصاب الكيان الصهيوني من هلع وفزع نتيجة المفاجأة الاستراتيجية التي احدثتها حرب رمضان، مما دفع بامريكا ان تخوض المعركة بنفسها عبر الجسر الجوي العسكري الذي امتد به الكيان الصهيوني ليحدث الثغرة في الدفرسوار.

كان سلاح النفط العربي يمثل الرد المؤثر على الجسر الجوي الامريكي، الذي صاحبه تصريحات من الصهيوني كيسنجر ومن الرئيس نكسون الذي هدد بالتدخل المباشر عندما شبه السياسة الامريكية في العام 1973 بالسياسة التي اتبعتها امريكا في لبنان عام 1985 وفي الاردن عام 1970.

وجاء قرار منظمة الدول العربية المصدرة للنفط "اوابك" بأنها سوف تخفض انتاج النفط بنسبة 5% شهريا الى ان تنسحب "اسرائيل" من الاراضي العربية المحتلة كافة.

جاء رد نكسون بعد ذلك بيومين، حيث طلب من الكونجرس منح مساعدة عسكرية للكيان الصهيوني بقيمة 2،2 بليون دولار، مما حدا بالملك فيصل ان يلجأ الى فرض حظر نفطي على الولايات المتحدة وهولندا. وعلى الرغم من وجود تقرير سري لدى المخابرات المركزية عن اتفاق بين السادات والملك فيصل على استخدام النفط سلاحا سياسيا بعد شن الحرب على الكيان الصهيوني، فان كينسجر كان يستبعد ذلك كليا. ولذلك، عندما وصلت انباء الحظر السعودي للنفط، انهارت افتراضاته السياسية المبنية على عجز العرب عن اتخاذ قرار باستخدام سلاح النفط، وعدم قدرتهم على التضحية والاستمرار في شن الحرب ضد الكيان الصهيوني المدعم استراتيجيا من امريكا.

ثم جاء انعقاد مؤتمر القمة العربية السادس في الجزائر في 26/11/1973 والذي قرر "الابقاء على الحظر العام بتدرجاته على تصدير النفط العربي بعد ان ثبت انه من اقوى الاسلحة في يد الامة العربية" ووافق هذا الموقف قرار اخر وهو "اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد

## للشعب الفلسطيني".

جاء رد الفعل الأمريكي على قرارات القمة باعلان وزير الدفاع الامريكى جيمس شليسنجر عن عزم بلاده على الاحتفاظ بوجود بحري مهم في المحيط الهندي، بهدف الدفاع عن المصالح الامريكية في الخليج في اعقاب حرب تشرين وحظر النفط. لقد اصبح واضحا ان الولايات المتحدة تهدد بالتدخل في حال استمرار الحظر، مما حدا بالرئيس الجزائري هواري بومدين ان يرد في مؤتمر صحفي، في الرابع من كانون الاول/ ديسمبر 1973، محذر من ردة فعل سريعة قد يقوم بها عمال النفط العرب في حال تدخل عسكري غربي. كما هدد بانه "اذا حاول الغرب ان يتصرف بغطرسة، او حاول استخدام القوة فسيصاب بكارثة وستشب النار في الابار كافة وتدمر الانابيب كافة وسيدفع الغرب الثمن".

كانت هذه بداية الايام المجيدة لسلاح النفط، خاصة بعد ان سكنت المدافع على جبهة سيناء، واصبح النفط ضروريا لدعم جبهة الاستنزاف في الجولان، والجبهة الثالثة التي فتحتها الثورة الفلسطينية في جنوب لبنان، الى جانب تصعيد الكفاح المسلح الفلسطيني داخل الاراضي المحتلة.

بدأ الصهيوني كيسنجر يكرس كل جهده من اجل وقف الحظر، وبدأت رحلاته المكوكية بهدف الفصل بين النفط وبين ذلك الارتباط على الجبهات كافة. وقد وجد الامريكان ضالتهم في الرئيس المتهاك انور السادات، الذي بدأ يلهث امام اي حل، وقام بالتعهد لكيسنجر انه سوف يعمل على رفع الحظر النفطي في غضون النصف الاول من شهر كانون الثاني/ يناير 1971، وانه سوف يدعو الى ذلك في بيان رسمي يشيد فيه بدور الرئيس نيكسون الشخصي في جلب الاطراف الى طاولة المفاوضات وايجاد التقدم فيما بعد. وقد اكد السادات ذلك في رسالة خاصة بعثها لنيكسون عن طريق مندوبة امريكا في الامم المتحدة، حيث قال لها على انفراد "سوف ارفع الحظر.. سأرفعه من اجل الرئيس نيكسون" ولم يجد السادات تجاوبا متهاكيا من قبل الدول النفطية لرفع الحظر. وكان موقف الرئيس بومدين وموقف الملك فيصل يدعو الى التمسك بقرار القمة العربية. وبدأ كيسنجر يلعب في خطواته، بالموازنة بين خطوة باتجاه فك الارتباط على جبهة سيناء مقابل خطوة باتجاه وقف حظر النفط. ولكن الخوف الذي كان مبررا هو ان يرفع الحظر ولا تزال الجبهات الاخرى بدون فك ارتباط، ويصبح التضامن العربي في خبر كان. وهذا ما كان يطمح اليه الصهيوني كيسنجر، ولكن وزراء النفط العرب الذين اجتمعوا في فيينا في تاريخ 81/3/1971، اشاروا الى ان موضوع الربط بين الاجراءات النفطية ولفت انتباه العالم الى القضية العربية، والتشجيع المقدم الى الدول التي تبدي استعدادا ورغبة في العمل لايجاد حل عادل للقضية يؤدي الى انتهاء الاحتلال الاسرائيلي تماما والى احقاق الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني. وتم اقرار رفع الحظر عن امريكا على هذا الاساس، على ان يخضع للمراجعة في الاجتماع القادم للاوابك في حزيران 1974. ولكن امريكا لم تصبر غير اسبوع على هذا القرار فعجلت باغتيال الملك فيصل في 25 اذار/ مارس 1974 لكي تتروغ كل من تسول له نفسه في استخدام سلام النفط في وجهها مرة ثانية.

وهكذا اعيد سلاح النفط الى قرابة، وبدأت السياسة الامريكية تبذل جهدها لتفصل بين دول منطقة الخليج الغنية بالنفط وبين دول المواجهة المعنية بالقضية الفلسطينية. وحتى يتم تجريد العرب من سلاح النفط، كعامل مؤثر في المعركة الحضارية بين امتنا العربية والقوى الامبريالية والصهيونية، وقد عمدت الادارة الامريكية الى وضع عدة سيناريوهات بهدف السيطرة على منابع النفط بالقوة، واوجدت لنفسها مجموعة مبررات تقوم بالتدخل اعلنتها ادارة فورد على الشكل التالي:

1. محاولات سوفياتية للاستيلاء على حقول النفط او لسد الطريق امام ناقلات النفط.

2. حظر نفطي تفرضه منظمة الاقطار العربية المصدرة للنفط (اوابك)
  3. ارتفاع "غير مقبول" في الاسعار او انخفاض في انتاج الاوابك ومنظمة الدول المصدرة للنفط "الاوبك".
  4. هجوم تشنه دولة اقليمية مصنفة بانها راديكالية على دول منتجة للنفط مصنفة بانها صديقة.
  5. انقلابات ثورية قد تطيح بانظمة صديقة في المنطقة وتحمل في طياتها خطرا داهما على انتاج النفط او شحنه.
  6. حدوث انتهاكات فادحة لحقوق الانسان.
- اما الحالة السابعة الكامنة في اعماق الادارة الامريكية فهي حالة "السلام الامبراطوري" او السلام الكسنجري الذي تفرض فيه امريكا هيمنتها المطلقة على المنطقة.

ولدى مساءلة بعض الصحفيين للرئيس فورد عن الموقف الاخلاقي من احتلال ابار النفط، وهي حالة استيلاء على املاك الغير بالقوة اجاب: "قد لا يكون الامر اخلاقيا. لكنني ارى انه لو رجعت الى التاريخ لوجدت الحروب من اجل الموارد الطبيعية مستمرة منذ اقدم الازمنة. فتاريخ السنوات الماضية يشير بوضوح الى هذا الامر كأحد الاسباب التي من اجلها تحاربت الامم".

وما نشاهده هذه الايام على ارض الجزيرة العربية من عدوان امريكي سافر يدخل في نطاق هذا السيناريو الذي اعدته الادارة الامريكية قبل خمسة عشر عاما... ولقد وصل بها الحد الى درجة عالية من الدقة بحيث حددت المكان الذي يجب ان ينال الاهتمام في مسألة التدخل.

في السيناريو الذي وضعه البروفيسور روبرت تاكر والذي نشرته مجلة GOMMENTARY الصادرة في كانون الثاني/ يناير 1975 وهي مجلة تصدرها اللجنة اليهودية الامريكية، جاء التساؤل التالي:

هل التدخل العسكري ممكن من الناحية التقنية؟

ولما كان الجواب بالايجاب فقد تطلب شروط نجاح حدها تاكر بالناحية الجغرافية حيث قال "بما ان التدخل مستحيل في كل مكان، فان امكانية التدخل تعتمد على وجود رقعة محددة نسبيا تحتوي على مقدار كاف من انتاج النفط العالمي ومن الاحتياطي المعروف، وذلك لضمان استخدام السيطرة على هذه الرقعة في كسر طوق الاسعار الحالية وفي تحطيم قلب الاحتكار سياسيا واقتصاديا.

ولم يضيع البروفيسور روبرت تاكر وقته في البحث عن البقعة الجغرافية المنشودة، لقد كانت في ذهنه وهو يضع السيناريو حيث حدها في تقريره على الشكل التالي:

هل التدخل العسكري ممكن من الناحية التقنية؟

"ان المنطقة الوحيدة التي تتوفر فيها هذه الشروط هي على ما يبدو، تلك التي تمتد من الكويت على طول الساحل حتى قطر. وهي، في الغالب شريط ساحلي ضيق لا يتعدى 400 ميل طولا ويوفر 40% من انتاج الاوبك الحالي. وفيه اكبر كميات احتياطية في العالم على الاطلاق... وبما ان هذه المنطقة لا



تشمل مراكز سكنية مهمة، وهي خالية من الأشجار، فان السيطرة الفعلية عليها لا تشبه تجربة فيتنام لا من قريب ولا من بعيد".

ويشير صاحب السيناريو الى اهمية الفائدة التي سيجنيتها الكيان الصهيوني من استيلاء امريكا على حقول النفط العربية. وهو يعترف بوضوح بالترابط القائم بين النفط والكيان الصهيوني على الطريقة التي يصبح بها سلاح النفط موجها الى صدر العرب وليس سيفا في ايديهم. ولكي ينزع من الامريكان عقدة الهزيمة المنكرة في فيتنام عاد ليؤكد انه "اذا كانت فيتنام مملوءة بالأشجار وبالرجال الشجعان. وكانت المصلحة الوطنية غير واضحة، فانه لا توجد هنا اشجار، وعدد الرجال قليل جدا والهدف واضح، وقد تتجم عن هذه العملية اخطار حقيقية ولكن على الاقل لن نشعر بالخيبة وتحت اقدامنا 200 بليون برميل من النفط".

لقد وصل الجنود الامريكان الى هذه البقعة من الارض وسيطروا عليها بشكل كامل، ولكن من سوء حظهم "ان العتمة لم تأت على قدر امنيات الحرامي" وفيتنام التي حاول السيناريو ان يتجاوزها اصبحت امام التواجد الامريكي المدعم بحملة صليبية على الارض الاسلامية المقدسة مصدر استفزاز لمشاعر كل العرب، وكل المسلمين، وكل الشرفاء والاحرار في العالم. واذا كانت بعض الدول تسائر امريكا خوفا او طمعا، فان الخطر الذي تهدد به امريكا العالم، كل العالم، اكبر من التصور. وهو في حد ذاته يدمر اول ما يدمر السبب الذي من اجله سعت امريكا لهذه المغامرة البائسة وهو النفط. وليس امام امريكا وهي تحاول ان تغطي عيوبها بورقة توت الاخلاق، وحق الشعوب سوى ان تعيد حساباتها وتقرأ من جديد قرارات الامم المتحدة وقرارات مجلس الامن المتعلقة بقضية فلسطين. وعليها ان تعي بشكل واضح وان تقر بشكل اوضح بالربط القائم استراتيجيا بين فلسطين وبين النفط وبين الامة العربية والاسلامية حاضرا وماضيا ومستقبلا

وان ما جاء في كثير من تصريحات قادة العالم من روكار الى غورباتشوف وغيرهما، الذين ربطوا بين ازمة الخليج وبين القضية الفلسطينية، وساندوا بشكل او بآخر المبادرة التي طرحها الرئيس صدام حسين، والتي تتعامل مع قضايا المنطقة وما فيها من احتلالات بشكل واحد لا يجزىء العدالة ولا يغيب المنطق. ومن مصلحة كل الدول العربية ان تبادر الى موقف موحد يضع حدا لفرقة، ويقف صفا واحدا في سبيل تطبيق قرارات مجلس الامن المتعلقة بالمنطقة، وان لا تترك لامريكا فرصة تعجيز العراق لاطالة امد او ابد وجودها وهي تضع المنطقة على حافة هاوية استراتيجية التوتر الدائم الذي تستطيع من خلاله ان تستنزف طاقات الدول النفطية، وتهيمن على الدول الصناعية في اوروبا واليابان، وتستمتع باحتلالها المدفوع الثمن من ثروات الامة العربية والامة الاسلامية. ان حالة اللاحرب واللاسلم التي تفرضها امريكا في منطقتي متفجرة ومحتشدة بقوات متعددة الجنسيات والاهواء والمبادئ والاخلاق. وضعت ازمة الخليج م.ت.ف في بؤرة الضوء والفعل منذ لحظاتها الاولى، وفرضت عليها مسؤوليات جسيمة فاقت ما فرضته على الاطراف الاخرى، وذلك بفعل ان الازمة بجميع ابعادها قد مست قضية فلسطين مسا مباشرا سواء كان ذلك في ابعادها العربية ام الدولية المتعلقة بالشرعية الدولية ام بالاهداف الحقيقية للتدخل العسكري الاميركي.

لقد التزمت م.ت.ف منذ بداية الازمة بمبادئ اساسية حكمت كل مواقفها ومبادراتها وجهودها. وهي مبادئ تمثلت في:

- اولاً: رفض الحرب سبيلا لحل المنازعات العربية.

- ثانيا: اولوية الحل السياسية العربي للازمة في اطار الشرعية العربية التي تشكل جزءا لا يتجزء من الشرعية الدولية.
- ثالثا: الالتزام بالشرعية الدولية والزامية انطباقها على جميع الحالات دون تفرقة او تمييز.
- رابعا: رفض التدخل العسكري الاجنبي وشن حرب اجنبية على بلد عربي مهما كانت الاسباب.

وعلى هدي هذه المبادئ، صاغت م.ت.ف مواقف لقيت تأييدا عربيا وعالميا واسعا، وهو تأييد فرضته الى جانب قوة هذه المبادئ عدالة قضية فلسطين، هذه العدالة المفقودة، والتي ان دل فقدانها على شيء، فهو يدل على حقيقة غلبة قوة المصالح الاستعمارية الامبريالية على قوة الشرعية الدولية، وعلى تسخير هذه الشرعية من قبل القوى الدولية لخدمة اغراض دون غيرها على النحو الذي يحدث بالنسبة لقضية فلسطين.

ونتيجة لما تعرض له موقف م.ت.ف من تشويه متعمد، حيث جرت محاولات اظهاره على انه موقف مناهض للشرعية الدولية، وذلك ضمن اهداف وغايات معينة تعود في اصولها الى ما قبل ازمة الخليج، وتكمن وراء عدم شمول قضية فلسطين بحل على قاعدة الشرعية الدولية حتى هذا الحين، فقد ارتأت م.ت.ف وبناء على توصية من المجلس الوطني الفلسطيني ان تصدر هذا الكتيب الذي يتضمن توثيقا لمواقف م.ت.ف من ازمة وحرب الخليج من خلال المبادرات والتصريحات والاعلانات الصادرة عنها منذ بدايات الازمة والتي جرى تغييبها وتشويهها على نحو متعمد في اطار تلك الاهداف والغايات التي تتجلى الان على اوضح ما يكون، حيث لم يعد للشرعية الدولية ذكر في قاموس معالجة الولايات المتحدة للنزاع العربي- الاسرائيلي وقضيته المركزية، قضية فلسطين، وحيث تجري محاولات استبعاد م.ت.ف على نحو يوفر الفرصة لتحقيق حل جائر بعيدا عن جميع القرارات الدولية الصادرة عن الشرعية الدولية بشأن قضية فلسطين.

ان م.ت.ف التي التزمت باستمرار بالشرعية الدولية اساسا لحل جميع المنازعات واصدرت مبادراتها السياسية في عام 8891 التي لقيت تأييدا وترحيبا دوليا واسعا تجسد في اعتراف اكثر من مئة دولة بدولة فلسطين العربية على قاعدة القرارات الدولية، وفي مقدمتها القرارات 181 و491 و242 و833، لتدرك الان ان اي حل يتم التوصل اليه بعيدا عن هذه القرارات وغيرها، سيكون حلا جائرا يحرم المنطقة من الامن والاستقرار المنشودين ويزيد من آلام شعب فلسطين والشعوب العربية الاخرى، ويضع مقدمة لانفجارات مستقبلية جديدة.

## هوامش

1. نشرة فتح المركزية. رأينا العدد الثالث عشر منتصف تموز 1990
2. المصدر السابق العدد الرابع عشر أواخر تموز 1990
3. المصدر السابق العدد السابع عشر منتصف ايلول 1990
4. المصدر السابق العدد الثامن عشر أواخر ايلول 1990
5. مسودة الكتاب الابيض الفلسطيني. موقف م.ت.ف من أزمة وحرب الخليج ص4-6 عام 1991